المبحث الخامس

المرأة عند العرب

« قبل الاسلام »

لم يكن العرب بعيدين عمن يجاورهم من الشعوب والأمم التى تحدثنا عنها ، فلقد اعتاد العرب رحلة الشتاء والصيف (١) .

بل ان هاتين الرحلتين كانتا بمثابة الالتقاء الفكرى والثقافى والاقتصادى والحضارى المتبادل بين العرب ومن جاورهم من أهل الشمال وأهل الجنوب .

فالعرب يذهبون فى الصيف الى أهل الشمال ، أهل الشمال أولئك كان منهم اليهود والنصارى وغيرهم ممن كان فى بلاد العراق القديم

وهكذا ،

ولقد حدثنا أبو سفيان بن حرب بما جرى بينه وبين هرقل عظيم

---

(١) ولقد حدثنا القرآن الكريم عن رحلة الشتاء والصيف فيما جاء من قول الله تعالى :

« لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » الآيتان ١ ، ٢ من سورة قريش .

يقول ابن كثير : ... وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فى المتاجر وغير ذلك.

يراجع تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٥٤ .

الروم حين أرسل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى هرقل كتابا يدعوه فيه ومن معه الى الاسلام(١) .

من هذا كله نخلص الى أن العرب فى الجزيرة العربية لم يكونوا بمنأى عن جيرانهم ...

ومن هنا انتقلت اليهم عادات كثيرة وسلوكيات وخصال جيرانهم ولقد وقفنا على جانب مما كان عند أولئك من معاملاتهم للمرأة التى كانت ترزح تحت نير تسلط الرجل ، الذى كان همه الأول اشباع رغبته منها وتقديمها لغيره ليعبوا منها ما يتخم نهمهم ويطمس رغبتهم ...

وهذا الذى وقف العرب عليه من شأن المرأة عند جيرانهم كان من بين الدوافع والأسباب التى شكلت سلوكهم الذى عابه القرآن الكريم عليهم ونهاهم عنه وحرمه .

لقد رأى العرب ــ قبل الاسلام ــ فى المرأة جوانب عدة ، ومن هنا تشكل سلوك كل منهم طبقا لما رآه وما غلبه وتسلط على رأيه ففرق كثير منهم فى نظرته الى المرأة والرجل ، طبقا لما رآه ، وطبيعة حياته المهددة دائما بالاغارة والمنازلة .

فالمرأة مخلوق ضعيف(٢) لا يقدر على النزال ، ورد المغيرين ، كما

---

(١) يراجع صحيح البخارى كتاب الايمان .

(٢) وهذه النظرة كانت عند من جاور العرب أيضا فقد حدثنا القرآن الكريم عما كان من شأن أم السيدة مريم عليهما السلام ، حين نذرت حملها لله ، لخدمة الدين وبيت المقدس . فلما ولدت وكانت المولودة أنثى رأت فيها أنها لاتقدر على القيام بخدمة البيت والدين ، لكونها أنثى .

أنها — فيما رأى واعتقد — قد تكون عامل اثقال وقت الحروب والكر والفر، زيادة عما قد تجره عليه من أمور تسحقه كرجل له كرامة وعرض وهم وقتئذ يعيشون عيشة تكاد أن تكون خالية من الفكر الهادىء الا فى القليل النادر •

وقوم هذه حياتهم ومعيشتهم لابد وأنهم يحبون البنين(١) ويحرصون على الولد ويزهدون فى البنت ، يقربون الزوجة التى يكثر أولادها ويعلو قدرها ، ولكنهم تحدثوا عن المنجبات من العرب(٢) ، أما الأخرى التى يكثر انجابها للبنات فكان لها شأن آخر •

وقوم يحرصون على العرض وصيانته ، ويرون فى ذهابه أو المساس به ذهاب شىء ، وضياع غال ، فلا يحرص على شىء بعد العرض ••

« اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم •• فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى ، وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم »

الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة آل عمران •

(١) تقول د/ عائشة عبد الرحمن عند حديثها عما نحن بصدده : نميل الى القول بأن ظروف الحياة فى الأزمنة القديمة أغرتهم بالحرص على كثرة الولد ، والزهد فى الاناث ، فما هن بحيث يمنعن الحمى ، ويحمين الذمار ، ولا فيهن غنية حين يهدد وجود القبيلة ، وهى بعد هدف العدو اذا غار ، يقصدهن بالسبى الذى يورث القبيلة ذل العمر ، وعار الأبد •

تراجم سيدات بيت النبوة — رضى الله عنهن — ص ٤٤٥ ط دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٩٨٤م •

(٢) والمنجبة عند العرب : من ولدت ثلاثة بنين فأكثر ، وكان لهم شأن فى قومهم • يراجع المحبر لابن حبيب ص٤٥٥ ط بيروت ١٣٦١ هـ

obeikandl.com

من هنا كانت مقولة شاعرهم :

أصــون عرضى بمــالى لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض فى المال

والمال فى كل عصر عصب الحياة ... ووقتها كان المال أكثر من عصب الحياة ، بل هو الحياة نفسها ، فكم من سيد حر غدا عندهم عبدا مسترقا لقلة ماله وكثرة ديونه .

ان قوما لهم فكر من فكر من جاورهم ، يحرصون على العرض ، حرصهم على الحياة وأكثر ، وليس لهم ما يعصمهم من زيغ الفكر والجهالة لابد وأن يسلمهم ذلك الى مـا ترددوا فيه من معـاملاتهم ونظرتهم للمرأة (١) .

---

(١) ومن هذا المنطلق كانت مقولة شاعرهم :

انى وان ســيق الى المهــر

ألف ، وعبـدان ، وذود عشر

أحب أصــهارى الى القبــر

يراجع تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة عائشة عبد الرحمن . ص ٤٤٦ ط بيروت .

كما يقول الأستاذ العقاد : فاذا هانت المرأة فهى عار يأنف منه أهلوه ، أو حطام يورث مع المال والماشية ، ومن خوف العار يدفن الرجل بنته فى طفولتها ، ويستكثر عليها النفقة التى لايستكثرها على الجاريه المملوكة ، والحيـوان النـافع ، وكل قيمتهـا بين الذين يستحيونهـا ولا يقتلونها فى طفولتها ، انهـا حصة من المـيراث تنقـل من الآباء الى الابناء ، وتباع وترهن فى قضاء المنافع ، وسداد الديـون ، ولا يحميها هذا المصير الا أن تكون عزيزة قوم ، تعز بما يعز عندهم من ذمار وجوار .

يراجع المرأة فى القرآن الكريم ص ٥٣ ـ ط بيروت .

وكان العربى حين يزوج ابنته أو احدى قريباته يحرص على أن يكون زوجها رجلا من أهله أو قبيلته أو عشيرته ، وعند انتقالها الى بيت زوجها يقول لها أبوها أو من يقوم مقامه مقالة يوصيها فيها بالحرص على بيتها وعرضها ، ويدعو لها وقد عرف من أدعيتهم فى مثل هـذا قـولهم للمرأة : « أيسرت وأذكرت ، ولا آنثت ، جعل الله منك عددا ، وعزا ، وجلدا ٠٠٠٠ » (١) ٠

ان حبهم للولد أمر دعتهم اليه طبيعة حياتهم ، وانتقل اليهم من جيرانهم ومن الأمم التى سبقتهم ، تلكم الأمم التى عاملت المرأة وكأنها مخلوق من جنس غير جنس الرجال ٠

وقد مر بنا جانب من نظرة أولئك الى المرأة ومعاملاتهم اياهـا ، وتبادلها كأنها سلعة واهدائها وكأنها دمية ، وافتراسها بل والفتك بها ٠

والعرب قبل الاسلام وان انتقل اليهم ذلك الذى كان عليه غيرهم من معاملة المرأة بحكم الجوار والتعامل ، فان هناك أمورا أيضا حدثت لبعضهم دفعته الى الانتقام من نسائه بل ومن بناته وقريباته ٠ بقتلهن والتنكيل بهن ٠ انتقاما لعرضه وثأرا لشرفه ، مندفعا بما عليه العربى من حرصه على العرض والشرف ، وعدم المساس بالفراش ، فهو صاحب تراث ورثه عن آبائه وأجداده أولئك الذين يصونون أعراضهم ويحمون أهلهم ومنازلهم ٠

فقد قيل ان لقمان بن عاد ، وهو من العرب البائدة قد تعرض لمثل ذلك الأمر الذى تأنفه العرب ، ولا ترضاه الرجال ، اذ قد خانته بعض نسائه ، وقت انشغاله بما يشغل الرجال وقتها ، من الحروب والنوازل

---

(١) المحبر لابن حبيب ص ٣١٠ ٠

فعز عليه أن تعرض النسوة عرضه لمثل ذلك الذى وقع منهن ، فما كان منه الا أن أعمل سيفه فيهن ، حتى أتى عليهن جميعا ولم يبق واحدة منهن انتقاما لعرضه واستشفاءا لصدره واندمالا لجرحه ثم خرج بعد أن فعل بهن ذلك وسيفه يقطر دما فقابلته ابنته فدفعه ما مر به واشتعل فى صدره الى اعمال سيفه فيها وقتلها ، فهى امرأة وقد ألهب قلبه ورجولته ما فعلته به نساؤه فى غيبته وانشغاله بما ينشغل به الرجال .

وكان نعمان بن عـاد بذلك العمل أول من وأد ابنته على مـا روته الأخبار وقريب من الذى دعى لقمان بن عاد الى ذلك ما حدث لزعيم تميم وسيدها قيس بن عاصم .

فقد روت كتب الأخبار أن النعمان بن المنذر قد أغار على تميم نظرا لأنها كانت تدفع له الاتاوات ثم منعتها .

نزل النعمان بن المنذر ديار تميم وأعمل فيها السيف والسبى .

وذهب سيد تميم « قيس بن عاصم » يسترد السبايا من النعمان وكانت الفاجعة له والقاصمة ظهره أن احدى بنـاته آثرت البقـاء مع النعمان ــ وهو الذى أغار على أهلها وأعمل السيف فى قومها ــ ومع هذا آثرت البقاء معه على الرجوع مع أبيها ....

لو أن ذلك حدث لعربى فى أيامنا هذه لطار عقله ، وشاط غضبه ، وكم حدثتنا الصحف بحوادث قتل امرأة وزوجها لأنها تزوجته رغما عن أهلها ...

فما كان من قيس بن عاصم ، سيد تميم الا أن جن جنونه ، واستل سيفه وأغمده فى قلب بناته ، يغسل غيظا به مما لحقه ، ويثأر لنفسه وقد ردته ابنته على غير ما كان يريد وطار خبر ذلك بين الآفاق وهو عربى

يعيش بين الناس لا يقيم ظهره سوى طاعة قومه له ، وحماية حريمه ، وصيانة عرضه .

انه رجل غدا جريحا ، جرحه لا يندمل اذ هو جرح فى قلبه بطعنة من ابنته وجهتها الى سويدائه حين آثرت البقاء مع عدوه وقاتل أهله ، ومريق دم عشيرته ....

هذا بالاضافة الى أن ذلك كله وقع فى قوم أطلق المؤرخون على عصرهم عصر الجاهلية ، وهى جاهلية عابها القرآن الكريم فى كثير من المواضع (١) .

ولقد حدث قيس بن عاصم مشيرا الى جانب مما أدى به الى ارتكاب فعلته تلك وكشف عن الدافع وراءها يوم سأله أبو بكر الصديق — رضى الله تعالى عنه — عن سببها . فقد أورد ابن حجر فى ترجمته لقيس بن عاصم أن أبا بكر سأله : ما حملك على أن وأدت — وكان أول من وأد — فقال : خشيت أن يخلف عليهن غير كفء (٢) .

---

(١) الآيات ١٥٤ آل عمران ، ٥٠ المائدة ، ٣٣ الاحزاب ، ٢٦الفتح

(٢) كما أخرج ابن حجر أن النعمان بن بشير الانصارى قال : سمعت عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — يقول : وسئل عن الآية « واذا الموءودة سئلت » فقال : جاء قيس بن عاصم الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : انى وأدت ثماني بنات لى فى الجاهلية . فقال : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » .

يراجع الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر جـ ٢ ص ٢٥٨ ط القاهرة سنة ١٩٠٧ .

ويراجع تفسير الطبرى للآية ٨ من سورة التكوير : آية الموءودة ،

وهو وان كان دافعا غير مقبول بمقاييس الاسلام والعصر ، الا أن أولئك الجاهليين كانوا بمنأى بعيد عن هذه المقاييس ...

وكان من أولئك من يرى أن فى وأده بناته الرفق بهن والخوف عليهن والشفقة من أن يلاقين من الأيام فاقة ، ومن الحياة قسوة ومن الاغارة ذلا ومن الأعداء دنسا وامتهانا ، وتلك شيمة عصرهم ...

يشهد بذلك ما جاء فى شعر بعضهم يفصح فيه أنه بين أمرين أحلاهما أمر من الآخر ، فهو يخشى على ابنته أمر الأيام ، وجفوة الأهل (١) ، وضياع العرض .

ثم هو يخشى على نفسه حين يقتلها ما يعايشه من مرارة الثكل ، وشدة الحزن ،فألم المصيبة شاق ، خصوصا اذا كان من تنزل به هو القاتل والمقتول ، لكنه مع ذلك يتجرع كؤوس الألم طمعا فى أن تواسيه الأيام ، ويخفف عنه أنه سيموت وليس وراءه من يخاف عليه غائلة الأيام وثقل الأغلال .

---

(١) ولذا نجد الاسلام قد أكد على صلة الرحم وجعل فى وصلها النجاة والثواب بل ان من يصلها يصل الله تعالى ومن يقطعها يقطع علاقته بالله تعالى ... وفى الحديث الشريف عن رب العزة : « ... من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ... »

وجاء القرآن الكريم يوصى بالارحام فى آياته فى مواضع كثيرة منها قول الله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ... » الآية الاولى من سورة النساء .

« وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ... » من الآية ٧٥ من الانفال ومن الآية ٦ من الاحزاب .

« فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم » الآية ٢٢ من سورة محمد « صلى الله عليه وسلم »

انه غريق تتقاذفه الأمواج يحمل على كتفيه بناته وأهله ، فهو وان حرص على الحياة فان حرصه ينطلق من حبه لهم وتمنيه انقاذهم •

كما أنه يرى فيهم حملا ثقيلا يدفعه الى الأعماق ، ويثقل حركته ، ويضيع منه فرص النجاة ••• كل ذلك وهو فى بحر مظلم هائج الموج تعصف به الرياح ، ويذهب البرق ببصره وبصـيرته ، ولا منقذ له من عقيدة أو أمل •••

فآلهتهم يعرفون أنها لا تقدر على دفع الشر عن نفسها ، انهم وان عبدوها الا أنهم فى أعماقهم موقنون أنها أحجار لا تنفع فى ضيق ولا تنقذ من شدة ••• أنهم تعساء ينسجون أثواب تعاستهم بأيديهم ، أشقياء يصنعون أعواد مشانقهم بأنفسهم •••

يقول شاعرهم :

وزادنى رغبـة فى العيش معـرفتى
ذل اليتيمـة يجفوهـا ذوو الرحم
أخشى فظـاظة عم أو جفـاء أخ
وكنت أبكى عليهـا من أذى الكلم
تهوى حياتى وأهوى موتهـا شفقـا
والموت أكرم نزال عـلى الحرم
اذا تذكـرت بنتى حين تنـدبنى
فاضـت لعبرة بنتى عبرتى بـدم

هذه همومه ، وتلك أحاسيسه ، وصراعه النفسى •

ثم هو بعد أن وقع به الثكل ، وعانى مرارة الحزن والفقد يصور حاله ، كأنه تخلص من حمل ثقيل ناء به كاهله ، ومال به شقه ••

فغدا وكأنه قد خفت أوزاره ، وارتاح من أحماله .. وقرت جفونه

فالآن نمت فلا هم يؤرقنى بعد الهدوء ولا وجد ولا حلم

الى هذا الحد كان يرى بعضهم المرأة ، ويتعامل معها وقد يهون الأمر لو كانت هذه أى امرأة على اطلاقها ، بل هى أقرب النساء اليه انها ابنته ، وفلذة كبده ، ومؤنسة حياته ، وباكية نعشه ، ومنجبة أحفاده ، الذين قد يباهى بهم أقرانه وأيامه ، ويرى فيهم امتداد حياته ، وتحقيق طموحاته ...

لقد عرفت الانسانية هذه المعاملة للمرأة عبر العصور وفى كل البقاع وكانت ترى ذلك أمرا هينا ، على حد زعمهم ...

يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ... ولقد أيقظهم القرآن من شقوتهم ، وأزال الغشاوة عن بصائرهم ... بل وحذرهم وأنذرهم ...

بين لأولئك الذين يخافون الفاقة ، ويخشون الاملاق ، أن الله تعالى رازقهم ، هم ومن يعولون ...

والعرب قبل الاسلام لم تعدم كريما ، ولم تبخل عليها السماء بصاحب قلب رحيم ، يحنو على هذه المسكينة ، التى تطاردها الأفكار الشيطانية وتئدها الأيدى وهى ترتجف ، خوفا وطمعا .

من هؤلاء حدثنا التاريخ عن صعصعة بن ناجية ، وعن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى (١) .

---

(١) زيد بن عمرو بن نفيل هذا هو والد الصحابى الجليل سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل الذى ورث الفضل عن أبيه ، والذى صدق فيه حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى تحدث فيه عن العرب .. وذكر فيه ان « ... خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام .. »

فقد كان لهم الباع الطويل واليد الندية التى أنقذت الكثيرات من أن يدفن أحياءا خوف الفقر والفاقة ، وخشية الاملاق والحاجة ...

يحدثنا المؤرخون أن صعصعة بن ناجية مر يوما بامرأة تبكى فى تشنج ، وتنحب فى ذعر ، وهى تمسك بوليدة صغيرة رضيعة فى أيامها الأولى ، ففزع صعصعة لذلك ، واقترب من المرأة الباكية يسألها عما بها قد ألم ، فأشارت الى رجل يحفر حفرة وقالت : هذا زوجى يحفر حفرة ليئد فيها ابنتى التى ولدتها له ، وتوجه صعصعة الى ذلك الرجل الذى يحفر بهمة وجد وكأنه يسابق نفسه ...

قال له صعصعة : ما حملك على هذا ؟ .. قال : الفقر . قال له : ألا تأخذ ما تشاء وتتركها ... فقبل الرجل فأعطاه وأجزل له العطاء .. وافتدى الوليدة والوالدة ... وكانت هذه سيرته بين العرب .. يهب ماله ليفتدى به الضعيفات اللائى يسقن الى الوأد أحياءا ...

ولقد تباهى الفرزدق بجده صعصعة ومنعه الوائدات فقال :

وجدى الذى منع الوائدات ... وأحيا الوئيد فلم يوأد

والصحابى الجليل سعيد بن زيد بن عمر أحد العشرة الذين رضى الله عنهم ورضو عنه ...

يراجع الاستيعاب فى معرفة الاصحاب لابن عمر بن عبد البر ـ رضى الله تعالى عنه ـ جـ ٢ ص٨١٧ ط نهضة مصر ١٩٤٧م .

نسب قريش للمصعب الزبيرى ص٣٤٧ ط أولى .

وذلك عند الحديث عن نسب الخليفة الثانى عمر بن الخطاب بن نفيل رضى الله تعالى عنه ـ فهى شجرة ممتدة منمرة بالخير ندية بالعطاء .

وقال فى جده أيضا :

أجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر يعلم أنه غير مخفر(١)

وقد حدث التاريخ أيضا عما كان من زيد بن عمرو بن نفيل القرشى فى هذا المجال . فقد وهب الكثير الكثير من ماله لأولئك الذين هموا أن يئدوا بناتهن خوف الفقر والحاجة ... بل انه كان يتعهد بالوليدة وتربيتها حتى تكبر ... ثم يأخذها الى أبيها ويحدثه فى شأنها ... ويعرض عليه اعادتها اليه ومعها ما يكفيه مؤنتها ... أو يبقها فى رعايته وبره ..(٢)

وهكذا كان شأن المرأة وليدة ووالدة عند البعض من الجاهليين الذين دأبوا على وأدها حية ، ودفنهـا فى التراب وكأنه يستر عارا لحق به ، ويستأصل داء ألم بقومه وعشيرته .

واقد صور لنا القرآن الكريم ما كان عليه أولئك فى قول الله تعالى : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون »(٣) .

---

(١) تراجع السيرة النبـوية لابن هشـام جـ ١ هامش ص٢٤٠ ط الحلبى سنة ١٩٣٦م .

(٢) المرجع السابق ويراجع ماجاء فى تراجم سيدات بيت النبـوة للاستاذة الدكتورة عائشة عبـد الرحمن ص٤٤٨ وما بعـدها ط دار الكتاب العربى ببيروت .

(٣) الآيتان ٥٩ ، ٥٩ من سورة النحل .

ويقول ابن كثير فى تفسيره هاتين الآيتين « ظل وجهه مسودا وهو كظيم » أى كئيبا من الهم ، ساكت من شدة ماهو فيه من الحزن ، يكره أن يراه الناس . وهو ان ابقى المولودة ، أبقـاها مهـانة ، لايورثها ، ولا يعتنى بها ، ويفضل أولاده الذكور عليها .

« أم يدسها فى التراب » أى يئدها ، وهو أن يدفنها حية .

يراجع تفسيرابن كثير جـ ٢ ص٥٧٤ ط دار الفكر بيروت ١٩٨٩م

ويحدثنا المفسرون عن الكيفية التى كانت ، والطريقة التى اتبعت فى الجاهلية لوأد البنات وقتل المولودات فيذكرون أنها كانت تتم بالصورة الآتية : « يخرج الرجل وليدته وقد حفر لها بئرا فى الصحراء ، فيدسها هناك ، ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر » .

وقيل : « كانت الحامل اذا أوشكت على الوضع حفرت حفرة ونقلت قريبا منها عندما يجيئها المخاض ، فاذا ولدت بنتا رموا بها فى الحفرة ، وان ولدت ذكرا أمسكوا وعادوا به »(١) .

هذا هو حال الكثيرات من الاناث ابان عهد الجاهلية ، أمـا الوأد ودفنها حية ... واما الابقاء على مضض وخزى وهوان ، خشية العار ، والفقر ...

وهذه الحال وان كانت غير عامة الا أنها كانت موجودة ولا يمكن انكارها (٢) ، اذ قد سجلها القرآن الكريم ، وعنف أولئك الذين يأتونها ووقف فى وجههم ، وسد عليهم منافذ الوأد ، وقضى على أسبابه .

---

(١) يراجع الكشاف للزمخشرى جـ ٤ صـ ١٨٨ عند تفسيره للآية ٨ من سورة التكوير .

(٢) ولقد حاولت الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن تقلل مما كان من وأد عند العرب ، وكم حاولت أن تبين مدى ما كانت تنعم به المرأة عندهم من مكانة عالية وقدر واحترام ، ولكنها وفى نهاية المطاف سجلت وبقلمها ما كان عليه الحال .. فقالت : ومن المحزن حقا ، أننا اذا استطعنا أن نجزم بأن الوأد لم يكن شائعا ولا واسع النطاق ـ وهذا لايهون من بشاعته ـ فلسنا بحيث نملك أن ننفيه عن أسلافنا العرب . ولا نحن بقادرين على الارتياب فى أمره وقد تواترت به الانباء ، وسجله

فلم تعد هناك موءودة بل عدت مولودة مكرمة ، ريحـانة معطرة علمهم ذلك رسول الانسانية سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بشر بمولد فاطمة الزهراء قال : « ريحانة أشمها ورزقها على الله » ان أولئك الموءودات غدون بنات الاسلام يرعاهن ويعتنى بشئونهن ، ويرحم بهن آباءهن ، ويدخل بهن الجنة أولياء أمورهن ،يجرى الرزق لهن وبهن ، وصدق الله العظيم الذى أخبر بذلك اخبارا صادقا لا يحتمل تخلفا ولا يخالطه أدنى شك .

لقد خاطب القرآن العرب يوم نزل ، نهاهم ، وبشرهم ، نهاهم عن ارتكاب حماقات الوأد ، وبشرهم بالرزق والخير والسعد . فقال تعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون »(١) .

عليهم القرآن ... ثم تعرج بالحديث عن مكانة الانثى فى المجتمع العربى قبل الاسلام ، فتحاول أن تعلى من شـأنها ، وان ترفع من منزلتها عند العرب ، غيرانها لاتجد مفرا من الاعتراف بمـا كانت عليه حقيقة الامـر فتقول : لانملك بعد هذا كله الا أن نعترف بأن منزلة البنـات كانت دون منزلة البنين ...

تراجع تراجم سيدات بيت النبوة ص٤٥٢ وما بعدها .

(٤) الآية ١٥١ من سورة الانعام ، يقول ابن كثير : وذلك انهـم كانوا يقتلون أولادهم كما سـولت لهـم الشياطين ذلك فكانـوا يئدون البنات خشية العار ، وربما قتلوا بعض الذكور خشـية الافتقـار ... « من املاق » قال ابن عباس وغيره هو الفقر ، أى لاتقتلـوهم من فقـر حاصل . ولذا بدأ هنا برزق الآباء ، المخاطبين ، أما فى الاسراء فالفقر لم

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (٥) •

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (٦) •

هذا ما كان عليه حال المرأة وما عاملها به الجاهليون ومن قبلهم أما وقد جاء الاسلام فقد أصبح للمرأة شأن آخر •

=

يقع وانما هم يخافونه بسبب الابناء ومن هنا قال تعالى : « نحن نرزقهم واياكم ••• »

يراجع تفسير ابن كبير ج ٢ ص ١٨٩ ويراجع البرهان فى متشابه القرآن للكرمانى تحقيق المؤلف وذلك عند الحديث عن التشابه الموجود فى هاتين الآيتين ، ويراجع قطوف من رياض القرآن للمؤلف عند الحديث عن بلاغة التشابه •••

(٥) الآية ٣١ من سورة الاسراء ويقول المفسرون هذه الآية دالة على أن الله تعالى أرحم من الوالد بولده ••• وكان أهل الجاهلية لايورثون البنات ، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر علته •• المراجع السابقة •

(٦) الآية ١٤٠ من سورة الانعام •

obeikandl.com